

مؤتمر جمعية المكتبات اللبنانية:

"المكتبات المتجددة: الطريق الى المستقبل"

بيروت من 9 الى 11 ماي 2018

المكتبات في عالم متغير: أي مستقبل للمكتبات الجامعية؟

د. وحيد قدورة

جامعة منوبة بتونس / المعهد العالي للتوثيق

وحدة البحث "المكتبة الرقمية والتراث"

wahidgdoura@gmail.com

مستخلص:

تمر المكتبات ومرافق المعلومات بمرحلة جديدة تتميز بعدم اليقين، نتيجة اكتساح تكنولوجيا الرقمنة لهذا الفضاء المعرفي وعولمة المعلومات. وأمام الفرص المتاحة للصرح المكتبي ضمن ديناميكية التغيير والتحديات المحدقة به نقترح التفكير في التحولات الحاصلة له وانعكاساتها على السلوكيات والممارسات والقيم وعلى انماط انتاج المعرفة ونقلها مع دراسة حالة المكتبات الجامعية واستشراف مستقبلها.

ومن خلال دراسة وضعية المكتبات الجامعية التي تعمل ضمن فضاء التعليم العالي والبحث العلمي سعينا لدراسة موقعها المتجدد ووظائفها المتغيرة، بدءا باستنطاق مفهومي الوقت والمكان ونقصد به الوقت الأكاديمي وفضاء المكتبة. إن الوظيفة التوثيقية للمكتبة الجامعية لم تعد لوحدها تستقطب الجمهور الجامعي وخاصة الشباب الطلابي الذي يولي أهمية للوظيفة الاجتماعية الاتصالية حيث التلاقي والاتصال للحوار وبناء المعرفة وبناء الشخصية الفكرية للطلاب.

تخلص الورقة الى ضرورة إعادة التفكير في استراتيجية المكتبات الجامعية في فترة الانتقال الرقمي وإعادة تحديد رؤيتها وأهدافها وخدماتها.

Abstract:

Libraries in a Changing World:

What future for academic libraries?

Under the pressure of digitization technology and with the globalization of information, libraries and information facilities are going through a new phase characterized by uncertainty. Libraries have new opportunities within the dynamics of change and as well as new threats. The following paper is an attempt to reflect on the transformations that have occurred and their impact on the behaviors, practices, values and patterns of production and transfer of knowledge. We also focus on the current situation of academic libraries and contemplate about their future.

By studying university libraries, we wanted to examine its changing location as well as its changing functions, starting with the concepts of time and space; i.e. academic time and library space. The documentary function of the university library is no longer the only function that attracts the university audience, especially young students. The latter give a lot of importance to the social function. They need a place where they can meet and communicate, build knowledge and build their intellectual personality.

The paper concludes that there is a need to reconsider the strategy of academic libraries in the digital transition period as well as a need to redefine their visions, goals and services.

المقدمة

"عندما تهب رياح التغيير هناك من يبني جدراننا، بينما يقيم آخرون طواحين الرياح"

مثل صيني

تشهد المكتبات تطورات باستمرار وترافق الانسان في رحلته نحو المعرفة والاكتشاف وتواكب تطور الفكر البشري. تمر هذه المكتبات اليوم بمرحلة جديدة تتميز بعدم الاستقرار وعدم اليقين وبالتعقيد، وبرزت تحديات تهدد مستقبل المكتبات بعد أن اقتحمت تكنولوجيا المعلومات المكتبات وتحولت مجموعات مكتبية كبيرة الى الفضاء الافتراضي، وتأسست المكتبات الرقمية على الويب وتعددت التطبيقات وخدمات المعلومات على شبكة الانترنت، وانتشرت آراء خاطئة لدى الجمهور حول مجانية المنشورات العلمية الرقمية وحول دور الانترنت "كمكتبة كبرى"، فظهرت النزعة نحو التخلص من الوسيط المكتبي وبدأ المستفيدون يهجرون المكتبات.

إنها وضعية جديدة لمرافق المعلومات والمكتبات تطالعا فيها التقلبات والمستجدات باستمرار، وأمام هذه المخاوف حول مصير الصرح المكتبي والتهديدات المحدقة به يقف الباحث للتفكير في هذه التحولات وفي مراجعة دور مرافق المعلومات في العصر الرقمي. الملاحظ أن هذه التهديدات ليست جديدة، فقد جابهتها المكتبات منذ بدء استخدام تكنولوجيا المعلومات في المكتبات، وصدرت تصورات و"تنبؤات كارثية" على مصير المكتبات منذ السنوات 1960¹ (سعد الزهري، 2015)، وهي التي يروج لها في الغالب المهندسون وليس المكتبيون² (Maurice Line, 2004). جاء ذلك نتيجة انعكاسات الرقمنة والعولمة

¹- صدرت رؤى وتنبؤات عام 1962 بخصوص مستقبل المكتبة في القرن 21م. هذه التنبؤات كتبها حبيب سلامة في مجلة عالم الكتب عام 1962 بعنوان "المكتبات الالكترونية للقرن 21: الرواد سيتعاملون مع الأجهزة والآلات". انظر: سعد الزهري،

المكتبات الإلكترونية: دراسة تحليلية لنظرة الستينيات الاستشرافية. في مجلة المكتبات والمعلومات العربية، مج 35، 2015

²- Line, Maurice.- Les bibliothécaires et la connaissance : gardiens, fournisseurs, intermédiaires, guides, ressources ?in : Bibliothécaire, quel métier ?/sous dir. Bertrand Calenge.- Paris : Cercle de la librairie, 2004.- p.43

على أنماط إنتاج المعرفة ونقلها وبحثها واستخدامها، إلا أن هذا التأثير لا يهتم المكتبات فقط بل جميع فضاءات المعرفة من مدارس وجامعات ومتاحف ومرافق المعلومات وكذلك على جميع القائمين والمتدخلين في هذه المرافق.

لذا تسعى الورقة لتحليل التحولات في فضاءات المعرفة بصفة عامة وفي فضاءات المكتبات بصفة خاصة قبل أن تدرس حالة المكتبات الجامعية.

تساؤلات الدراسة:

- ما مدى تأثير الرقمي على فضاءات المعرفة؟ هل بقي مكان لفضاءات المعرفة التقليدية؟
- ماذا يمكن أن تقدمه المكتبات التقليدية أكثر من محرك البحث جوجل للمستفيدين الذين يقبلون على التطبيقات الحديثة؟
- هل توجد قطيعة مع هذا الانتقال الرقمي على مستوى خدمات المكتبات والنفاز الى المعلومات والعلاقة بين الوسيط والمستفيد؟
- كيف نستنتج من جديد المفاهيم والرؤى لفهم التحولات الحاصلة في الفضاء المكتبي؟
- هل يتلاءم الخطاب المكتبي التقليدي مع الانتقال الرقمي ومع تموقع فضاءات المعرفة؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

- إعادة تفحص رسالة المكتبات ووظائفها كفضاء معرفي ابتدعته المجتمعات منذ القديم نظرا للحاجة اليه، إلا أنه أمام ضبابية المشهد نحتاج الى استشراف مستقبلها ووضع رؤية جديدة لها.
- التفكير في إعادة تشكيل نظم المعلومات حتى لا تبقى رهينة تصورات المهندسين ومصممي تكنولوجيا الرقمنة. تتأكد الحاجة الى تجاوز الخطاب "التقني" الذي يمجّد الأدوات التكنولوجية أكثر من التركيز على المحتوى الرقمي وعلى الذكاء.

1- فضاءات المعرفة: نحو انهيار الحواجز التقليدية

جميع فضاءات المعرفة تقوم إجمالاً بالأدوار الآتية:

- إنتاج المعرفة: البحث العلمي والتأليف والابتكار (فضاءات الجامعات ومراكز البحث..)
- نقل المعرفة: النشر والتوزيع والتدريس: (فضاءات دور النشر والمؤسسات التعليمية)
- بث المعرفة: إدارة المعرفة وخدمات المعلومات (فضاءات المكتبات والمتاحف..)

رغم علاقة الترابط، نظريا، بين هذه المؤسسات التقليدية، فإنها تعمل باستقلالية في مبانٍ منفصلة عن بعضها وفق قواعد وترايب صارمة. إلا أنه حين اقتحمت تكنولوجيا الرقمنة هذه الفضاءات تغيرت العلاقة مع المكان والزمان، فالرقمي جاء ليتجاوز القوانين المتشددة في تنظيم أماكن المعرفة بل في تنظيم العلاقات بين القائمين عليها والجمهور. ذلك أن شبكات الاتصال تحولت إلى أماكن للمعرفة توفر مصادر المعلومات والبحث ومصادر التعلّم والدروس الرقمية (MOOCS) وتعرض محتويات المكتبات الرقمية والمدارس الرقمية والمتاحف الافتراضية. كما تخطت هذه الفضاءات الرقمية الجديدة عدة حواجز في تحدّ كبير لمؤسسات المعرفة التقليدية:

- تجاوز الحاجز المكاني: تحولت الشبكات الرقمية إلى فضاءات كبيرة لنشر المعرفة وبتها في كل مكان متخطية حدود الدول والمسافات الجغرافية، إنه الاتصال عن بعد.

- اختراق الحاجز الزمني: علاوة على السرعة القياسية في نقل المعرفة وتأمين التفاعل بين الأطراف المعنية، فإن الفضاءات الرقمية تعمل وفق توقيت مفتوح، غير مقيدة بالوقت الإداري للمؤسسات التقليدية وبأيام العطل!

- تقليص نفوذ المدرّسين التقليدي: تقلص نفوذ هؤلاء الذين يمتلكون المعرفة، بما أن المعرفة أصبحت على مرمى حجر، إنها مشاعة في فضاءات مفتوحة، وبالتالي فإن العلاقة العمودية في نقل المعرفة من المعلم إلى الطالب ومن الخطيب إلى السامع ومن المكتبي إلى المستفيد تحولت، أو بصدد التحول، إلى علاقة تبادلية (réciprocité) وتغيّر معها نمط تداول المعرفة الذي أضحي في شكل تفاعلي بين القائمين والمعنيين بها³، وطرحت مسألة مدى شرعية تواجد الأطراف التقليدية المكلفة بنقل المعرفة اليوم.

- تقليص نفوذ المؤلف: تراجع دور المؤلف الذي يمارس نفوذه على القارئ⁴. إنه النفوذ الذي يمارسه المؤلف على القارئ⁵. إلا أن النص الرقمي غير العلاقة بين المؤلف والقارئ فهذا الأخير أمام نص رقمي مفتوح يمكنه من التدخل في المحتوى وتغييره دون الخضوع إلى قواعد ونواميس محدّدة، وبالتالي يتحول القارئ إلى "شبه مؤلف أو شبه محرر"، يكتب ويغيّر كيفما شاء. إنه التحرير التشاركي الذي تدعمه تقنيات الويب 2.0.

طبعاً، هذه التغيرات في فضاءات المعرفة شملت أيضاً المكتبات ومراكز مصادر التعلّم وجميع نقاط النفاذ إلى المعلومات. فكيف تم الانتقال الرقمي في هذه المرافق؟ وما مستقبل المكتبات الجامعية في فضاءات التعلّم العالي والبحث العلمي؟

2- المكتبات الجامعية: من فضاء مغلق إلى فضاء مفتوح

³ Bertrand, Anne Marie.- Médiation, numérique, désintermédiation : une nouvelle astronomie.-in : Bulletin des bibliothèques de France, n°3 , 2013.- pp.23-29

⁴ - بالإشارة إلى كلمة المؤلف باللغة الفرنسية واشتقاقها من اللاتينية فإنها تعني النفوذ Author/ Auctor/ Auctoritas

⁵ - انظر: عمر أوكان. - النص والسلطة. - الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 1991. -ص 78.

فضاءات التعليم العالي والبحث العلمي: تحولات عميقة

التعليم العالي اليوم هو محل رهانات عالمية كبرى، إذ تستثمر الدول في هذا القطاع لبناء قدراتها المعرفية وتكوين الإطارات العليا ودفع التجديد والابتكار وإرساء اقتصاد تنافسي في نفس الوقت هناك توجه نحو العالمية إذ حصل تدويل للقوى العاملة وبرزت منافسة شديدة لجذب أفضل الطلبة الى دول الشمال وظهر نموذج جديد للتعليم هو تعليم عال عابر للقوميات⁶ Transnational Higher Education

ورغم الفرص التي يوفرها هذا النوع من التعليم لتطوير القدرات الوطنية، فإن له انعكاسات سلبية من ذلك توجه الجامعات نحو "تسليع" منتجات التعليم العالي وجشع بعض الجامعات التي تغلب الجانب الربحي على الجودة والقيم الجامعية، وتهميش الأغراض العامة للتعليم العالي. وبرزت مخاوف من انحراف الجامعات عن رسالتها بعدم الاهتمام بتحسين أدائها في تأمين المعرفة وعدم احترام مبدأ تكافؤ الفرص أمام الشباب للارتقاء الاجتماعي وتغليب الاكتشافات الواعدة تجارياً على حساب البحث الأساسي وغير ذلك.⁷

الاتصال العلمي والمكتبات الجامعية

فضاء التعليم العالي هو فضاء لتوليد المعرفة وإنتاج المعلومات العلمية والتقنية ونقلها ونشرها. هو مكان للحوار والنقاش والتشارك وتقاسم المعارف تقوم فيه المكتبة الجامعية بدور أساسي في نقل نتائج البحوث وتبادلها وإعلام الباحثين والطلبة بأخر المستجدات العلمية، وفي هذا الفضاء تتساقط المعلومات العلمية ويتوقف ذلك على دور المدرسين والمكتبيين. إذ مع إرساء نظم جامعية حديثة مثل منظومة إمد الأوروبية / أو مسار بولونييو (Bologna Process)، والتي تتبناها عدة دول عربية والتي تقوم على مبدأ التحول من التلقين إلى التعلم الذاتي ومن سلوكيات المجهود الأدنى إلى سلوكيات المبادرة، بما يعني إيلاء أهمية كبرى لفضاء المكتبة،.. إلا أن دور المكتبات الجامعية في البلاد العربية تراجع نوعاً ما نتيجة النزعة نحو هجرة المستفيدين لها : ما هي الأسباب؟

لأن جمهور الطلبة والباحثين لم يعد يقبل على المجموعات المكتبية وعلى خدمات المكتبة الجامعية فقد تحول جزء منها - كما ذكرنا- على شبكات المعرفة الرقمية (الدروس الرقمية والمجلات الإلكترونية والرسائل الجامعية على الخط..). هذه المصادر سواء كانت مجانية أو مدفوعة الثمن يمكن للجمهور الوصول إليها عن بعد.

⁶ OCDE (2008).-L'enseignement supérieur à l'horizon 2030 : accès, qualité et mondialisation

www.oecd.org/fr/sites/eduhe3/lenseignementsuperieurallhorizon2030accesqualiteetmondialisation.htm (date de visite 10/10/2017)

OCDE (2007) .- Renforcer les capacités nationales grâce à l'enseignement supérieur transnational.

In :www.ocde.org/fr/educeri.pdf

⁷- بوك، ديريك (2009).- جامعات في السوق: إضافة الصفة التجارية على التعليم العالي، تعريب سوسن مستو. - الرياض: العبيكان، 244 ص

هذا يتطلب مراجعة دور المكتبة الجامعية ووظائفها، وكما تطرقنا لفضاءات المعرفة بصفة عامة فسناحاول فهم التحولات الحاصلة في المكتبة الجامعية من خلال استنتاج مفهومي الزمان والمكان، الوقت الأكاديمي ومكان العمل الأكاديمي؟.

- الوقت الأكاديمي:

كيف يتوزع الوقت الأكاديمي لدى الطلبة؟ وما حجم الوقت الذي يخصصه الطلبة للعمل الفردي؟

يرتبط توزيع الوقت (التصرف) بالنسبة للطلاب بنظام التعليم العالي ذاته وبالتغيرات التي حصلت ولا تزال اليوم في الجامعات. ينقسم هذا الوقت إجمالاً الى ثلاث محطات غير متساوية⁸ (Fernex, 2013) وهي:

- الوقت المخصص للمحاضرات وإن كان النظام التعليمي لا يراقب حضور الطالب في المدرج ولا يجبره على ذلك.

- الوقت المخصص للأعمال التطبيقية: حيث يكون حضور الطالب في المختبرات العلمية/ المعامل التطبيقية إجبارياً. هذا بالإضافة الى الوقت المخصص لإجراء الفروض والامتحانات حسب نظام نصف سنوي/السداسيات.

- الوقت المخصص للعمل الفردي: يتفرغ الطالب للقيام بالفروض والواجبات الجامعية التي يكلفها بها الأساتذة: بحوث وقرارات وملخصات ومراجعة الدروس. هنا نشير الى تنوع شبكات المقررات حسب الاختصاص (شبكة الدروس ثقيلة ولا تعطي وقتاً كافياً للعمل الفردي، وبصفة إجمالية فإن شبكة الدروس في العلوم الأساسية والتطبيقية (خاصة الطب والهندسة) أكثر كثافة من شبكة الدروس في العلوم الاجتماعية والانسانية. وبصفة عامة فإن نظام إمد "يغرق" الطالب بالدرس الحضورى ولا يفسح له المجال واسعا داخل المكتبة للتعليم الذاتي وللمراجعة. لا يوجد توازن بين الوقت المخصص لنشاط التدريس والوقت المخصص للعمل الفردي. وينعكس ذلك على علاقة الطالب بالمعرفة وبالوصول عليها وباستيعابها، فليس للطالب فسحة من الوقت الكافي لاستخدام مصادر المعرفة والاستفادة منها.

ماهي مصادر المعرفة التي يستخدمها الطالب؟

يلجأ الطالب بدرجة أولى الى الكتب التأليفية التي تلخص المعارف حول موضوع معين وتستجيب بالتالي لانتظارات الطلبة. انها تقدم معلومات مختصرة ويسهل الوصول اليها. وبصفة عامة فإن الطالب يقبل على الكتب الجامعية التي لا تقرأ بأكملها بل فصل منها أو بعض الفصول، وتأتي بعد ذلك كتب التثقيف العلمي ثم كتب اللغة كتب الترفيه والقصص. والأقراص الضغوطة (دي في دي). وفي مرحلة متقدمة من الدراسة (الماجستير والدكتوراه) يستخدم الطالب المجالات العلمية وكتب المنهجية العلمية وتعليم الكتابة العلمية والتحرير العلمي.

⁸ Fernex, Alain.- Temps académique, temps de l'apprentissage : l'évolution de la relation des étudiants à l'étude.- in : L'avenir des bibliothèques : l'exemple des bibliothèques universitaires/ sous dir. Florence Roche et Frédéric Saby. – Villeurbanne : Presses de l'ENSSIB, 2013.-p.16

ما هي الخدمات التي تقدمها المكتبات الجامعية للطلبة أو للشباب الرقمي؟ Digital Natives

يخصص المكتبي في السابق وقتا طويلا لمرافقة القارئ وذلك بمساعدته على استرجاع المعلومات، وعلى المقارنة بين مصادر المعرفة والتحليل والاستنتاج، كما يساهم في بناء المعرفة. أما اليوم، فإن الاسترجاع أصبح أنيا، وللشباب من مواليد الرقمي Born Natives القدرة على الابحار "لوحدهم" على الشبكة والسفر بين المواقع لتجميع حجم هائل من المعلومات، لكنهم يلاقون صعوبات لتنظيم المعرفة والمقارنة بين الموارد والتحليل وبناء المعرفة. إنهم لا يقومون بجهد فردي لأجل بناء المعرفة الراسخة⁹ (Roche, 2013). إنهم في عجلة من أمرهم، ولهم سلوك جديد للقراءة والاستيعاب المعرفي.

- استراتيجيات القراءة:

الوقت المخصص للاستيعاب والقراءة قصير، وهنا يسلك الجمهور الجامعي استراتيجية جديدة للقراءة. الشباب يقرأ ولكن قراءة أخرى. إنها قراءة مغايرة للجيل السابق: ممارسات قرائية أخرى واستراتيجية مختلفة.

لم يعد تصميم الكتاب المطبوع مناسباً للقراءة في عصر السرعة والإيجاز. إنه الكتاب الذي يخرج الناشر وفق نوااميس وقواعد صارمة (تصميم الصفحة وتساوي الأسطر وتساوي الأحرف وحجم الصفحات). إنه "دليل القراءة" كما يفرضه الناشر على القارئ ويفرض معه نفوذه هو الآخر. إلا أنه مع تطور تكنولوجيا الرقمنة لم يعد المؤلف والناشر يفرض سلطته على القارئ بواسطة "كتاب مقنن" livre canonique فقد أصبح القارئ متمرداً على هذه المعايير فهو يتدخل لتغيير هذا الشكل الصارم للنص ويطوعه حسب "ميولاته القرائية". كما يتحكم في النص ويرسم استراتيجية القراءة وإعادة بناء النص حسب معايير الخاصة به (تحكم في حجم الأحرف وتغيير حجم الصفحة وإضافة الألوان. كتابة الملاحظات داخل النص وليس على الهامش) كما يقوم بالبحث السريع عن المعلومة المطلوبة دون قراءة مطولة.

يرى بعض الباحثين (Fenniche, 2009)¹⁰ (Belisle, 2011) أن القراءة على شاشة الحاسوب هي قراءة غير مسترسلة (مقسمة إلى أجزاء) أو "مفككة" بفعل تقنيات البحث والروابط الفائقة (هيبيرتكست) التي تسمح بالتنقل السريع من صفحة إلى أخرى ومن نص إلى آخر. إنها قراءة رقمية سريعة تعوض القراءة النشيطة التي كان ولا يزال يستخدمها القراء (من جولان البصر الأفقي إلى الجولان العمودي وإلى محطات الإرسال، وغيرها) بغية الوصول السريع إلى المعلومة وإنجاز الملخص التأليفي.

نخلص إلى أن الشباب الطالب أو الجيل الرقمي يقرأ ولكن قراءة أخرى، إنها قراءة على شاشة الحاسوب سريعة وغير مسترسلة باستخدام تقنيات الروابط الفائقة ومرتبطة خاصة بالفسحة الزمنية التي يوفرها

⁹ Roche, Florence.- Définir et mettre en place une politique de service au public.- in : L'avenir des bibliothèques : l'exemple des bibliothèques universitaires/ sous dir. Florence Roche et Frédéric Saby. – Villeurbanne : Presses de l'ENSSIB, 2013.-pp.65-82

¹⁰ - Fenniche, Raja (dir).- Lecture numérique et usages du web : actes des journées d'études 14-15 avril 2009.- Tunis : ISD, 2010.

Belisle, Claire (dir)- Lire dans un monde numérique.- – Villeurbanne : Presses de l'ENSSIB, 2011

نظام التعليم نفسه، علاوة على ضغوطات والتزامات أخرى. إن عامل الوقت يؤثر كثيرا على سلوكيات القراء، فماذا عن المكان المفضل للقراء؟

- ما هو المكان المفضل للعمل الفردي؟

حسب دراسة أجريت بفرنسا حول عادات الطلبة في العمل الفردي، تبين أن البيت أفضل مكان ويأتي في المرتبة الأولى، يليه المكتبة في المرتبة الثانية ثم فضاءات جامعية أخرى في المرتبة الثالثة¹¹ (Saby, 2013). كما ان عادات العمل الفردي المبنية أساسا على القراءة المعمقة والمكملة للدرس لم تعد ذات أولوية بالنسبة للطلاب، ومع ذلك يبقى استخدامهم للمكتبة هاما. حسب دراسة أجريت في الدانمارك عام 2009 فإن المكتبات الجامعية وعددها 16، استقبلت 3.5 مليون زائر (عدد السكان 5.5 مليون نسمة)¹² (Lauridsen, al, 2014)

ولكن ليس لاستخدام المجموعات فقط . ماذا يفعلون في المكتبة إذن؟ نلاحظ ان الزاوية التوثيقية ليست الوحيدة التي تستهوي الشباب الطلابي.

هذا ما سنحاول الاجابة عنه عند تناولنا للفضاء الثالث

لا يأتي الطلبة فقط لاستعارة الكتب أو لقراءتها على عين المكان أو لاسترجاع المعلومات في قواعد البيانات، بل يطلبون أيضا من المكتبة الجامعية خدمات أخرى:

- مكان للتعلم الذاتي ولمراجعة الدروس
- استخدام الحاسوب وشبكة الانترنت
- مكان للحوار واللقاءات الودية
- مكان للترفيه وقراءة المجلات الثقافية ومشاهدة الفيديو
- فضاء حر " لاستراحة القهوة والشاي واللمجة"سندويتش".
- مكان للنشاط الثقافي لعرض الرسوم واللوحات الزيتية والمحاضرات الثقافية والعلمية واللقاءات مع المؤلفين والمفكرين. إنه مكان للإبداع والتجديد.

¹¹ Saby, Frédéric.- L'évolution de la relation des étudiants à la connaissance.- in : L'avenir des bibliothèques : l'exemple des bibliothèques universitaires/ sous dir. Florence Roche et Frédéric Saby. – Villeurbanne : Presses de l'ENSSIB, 2013.-pp. 20-28

¹² Lauridsen, J., Niegaard, H.- Les développements actuels des bibliothèques danoises.- in : Bibliothèque d'aujourd'hui : à la conquête de nouveaux espaces./ sous dir. Marie Françoise Bisbrouck- Paris : Cercle de la librairie, 2014.-pp.113-118

نستنتج أن جمهور القراء بالمكتبة الجامعية له انتظارات عدة ويريد تلبية هذه الاحتياجات وهذا يؤكد على ان هذه المؤسسة مطالبة بتأمين وظائف اخرى علاوة على الوظيفة التوثيقية: الوظيفة التعليمية والوظيفة الثقافية والوظيفة الترفيهية والوظيفة الاجتماعية.

المكتبات كمكان ثالث:

Third Place Library/ Bibliothèque troisième lieu

مفهوم Third Place اقترحه في بداية الثمانينات راي أولدنبرغ Ray Oldenburg استاذ في علم الاجتماع الحضري بجامعة بنساكلولا بفلوريدا، للتمييز بين المكان الأول وهو البيت والمكان الثاني وهو فضاء العمل ، أما المكان الثالث فهو للحياة الاجتماعية ويرتبط بالفضاءات التي يتلاقى فيها الأفراد والجماعات للحوار وتبادل الآراء والتجارب. ومن أهم خصائص المكان الثالث انه ودّي يولد الرغبة للتردد عليه ويتيح الأمان مثل البيت وفرحة اللقاء وتثبيت الذات والتعرف على الآخر، وتعتبر المكتبة نموذجا مثاليا لهذا المكان الثالث¹³ إذ يؤمن لقاءات فكرية مع المجموعات المكتبية. كما أن هذا المكان يستجيب لرغبة الطالب في إثبات ذاته اذ يجد ثوابته ويتقاسم ميولاته مع الآخرين.

يمكن للمكتبة الجامعية أن تستجيب لهذه الحاجات بشرط ابراز الوظائف الأخرى التي ذكرناها وعدم الاقتصار على الوظيفة التوثيقية. إنها مكان للموارد المعرفية متعدد الخدمات يجمع بين حاجيات الدراسة والبحث والمشاعل اليومية. من هنا يترتب عن ذلك إعادة توزيع الفضاء: رفوف مفتوحة للكتب ومخازن وقاعات للقراءة وللعرض وأماكن للتنشيط والتلاقي والترفيه. هذا يتطلب هندسة جديدة وتجهيزات حديثة وفضاءات مرنة قابلة للتعديل¹⁴.

تعد المكتبة الجامعية مكانا مفتوحا/ رحبا أي مفتوحا على مختلف الأقسام دون حواجز مادية يتنقل المستفيد داخله بسهولة، ودون حواجز "ذهنية" أي لا توجد به رقابة ولا يمنع تداول الأفكار بحرية.

¹³ - Bruxvoort, Diane.- Library as Third Place

https://www.sconul.ac.uk/sites/default/files/documents/3_18.pdf (visited 28/4/2018)

Servet, Mathilde(2010).- Les bibliothèques troisième lieu : une nouvelle génération d'établissements culturels.- in Bulletin des bibliothèques de France BBF, n°4, 2010.

Roche, Florence.-Le bâtiment et sa place dans la politique de services au public.- in : L'avenir des bibliothèques : l'exemple des bibliothèques universitaires/ sous dir. Florence Roche et Frédéric Saby. – Villeurbanne : Presses de l'ENSSIB, 2013.-pp.83-96.

¹⁴ Concevoir et construire une bibliothèque : du projet à la réalisation/ sous dir. Laure Collignon et Colette Gravier.- Paris : Editions Le moniteur, 2011

إن مناقشة مفهوم المكان يوضح مدى الحاجة الى الفضاء المادي للمكتبة فلا يمكن الاستغناء عن المبنى لأنه لا يقوم فقط بتوفير المجموعات حيث تحول جزء منها الى الفضاء الافتراضي، بل بخدمات ووظائف اخرى. يستدعي ذلك "إعادة الاعتبار" للوظائف الأخرى التي طالما وجدت منذ مكتبة الاسكندرية وبيت الحكمة ببغداد والقيروان، خاصة الوظيفة الاتصالية و الاجتماعية. إنه فضاء للتلاقي بين المستفيد والمكتبي، بين القارئ والمؤلف، بين القراء مع بعضهم البعض للحوار وبناء المعرفة. إن دراسة مفهوم الزمان والمكان يساعدنا على فهم واستشراف مستقبل المكتبة في فترة الانتقال الرقمي.

3- مستقبل المكتبة: الحاجة لتجديد خطاب المكتبيين

إذا أقررنا بالحاجة الى مراجعة وظائف المكتبة الجامعية وعدم حصرها في الوظيفة التوثيقية فهل يستدعي هذا الحفاظ على المكان المادي وإعادة هندسة مبنى المكتبة، وهل تهدد المكتبة الرقمية هذا المكان؟

ولتجاوز حالة الارتباك والحيرة التي تسود أوساط المكتبيين العرب في ظل تنامي هجرة المكتبات وانصراف المستفيدين شبه الكلي الى الفضاء الرقمي فإننا نحتاج الى توضيح الرؤية وإعادة تحديد رسالة المكتبة والاهداف.

في مرحلة الانتقال الرقمي نحتاج الى تجديد خطاب المكتبيين ليكون مواكبا للتغيرات التي يشهدها العالم اليوم، في عصر الابداع والتجديد والذكاء، وذلك بإعادة استنطاق المفاهيم التي بنيت عليها المكتبات وخدماتها وبإعادة تحديد الرؤية. إنها منطلق لوضع استراتيجية جديدة تعمل على إعادة تموقع مرافق المعلومات ومنها المكتبات الجامعية في فضاء المعرفة الكبير.

استراتيجية مرافق المعلومات:

يتطلع التفكير الاستراتيجي الى تحديد أهداف للمستقبل وليس للفترة الحالية، وعادة ما يرمي الى تنفيذ الأهداف خلال فترة متوسطة المدى او طويلة المدى. وهو تفكير "استباقي" يحاول التعرف على التطورات المستقبلية وتوجيه نشاط المنظمات وفق ذلك

الرؤية Vision

الرؤية هي الدليل الذي يقود التغيير نحو هدف محدد، فهي عنصر قار في الاتجاه المرسوم. ذلك أن أثناء فترة التقلبات تكون الرؤية معلما ثابتا لإنارة السبيل (في الاتجاه المطلوب). والرؤية – حسب (Grouard, 1998).¹⁵ تدل على الفارق بين الوضعية الحالية والوضعية المنشودة، وهي التي تبرر الحاجة الى التغيير. وتختلف حدّة التغيير حسب الحالات، فقد يقتصر على تطويع (التكيف مع وضعية معينة) وقد يكون تعديلا للمسار، في حين يصل في بعض الحالات الى تغيير شامل.

¹⁵ Grouard, B., Meston, F.- L'entreprise en mouvement : conduire et réussir le changement.- Paris : Dunod, 1998.-p.61

ترتكز الرؤية على ثلاثة عناصر رئيسية هي، أصل المشكلة والوسائل والأهداف.

أصل المشكلة: أي تحديد المشكلة وتفسير أسباب الذهاب نحو التغيير. وتتم عملية بناء التغيير بإبراز الفوائد من ناحية والعراقيل من ناحية أخرى، وذلك بالاستناد الى الهدف المنشود. الرؤية تضبط هدفا محددًا لحلّ المشكلة، وهذا الهدف يشترط ثلاثة أمور:

- تقديم حل ناجع وموثوق به للمشكلة المطروحة.
 - توفير أدوات مرجعية لتوجيه العمل
 - تعبئة الكفاءات والمهارات الفردية والجماعية لتحقيق الهدف أي للوصول الى الحلّ.
- والهدف يحدد بوضوح الفرق بين وضعيتين- كما ذكرنا سابقا- ويعبر عن القطيعة مع الموجود حاليا لإبراز أهمية وضرورة التغيير. كل تغيير يلاقي الرفض لذا وجب إبراز المزايا للجميع.
- ما هي مراحل تحديد الرؤية؟

حسب (Grouard, 1998) هناك أربعة مراحل: إبراز ضرورة التغيير، تحديد رهانات التغيير، تقديم رؤى بديلة، اختيار الرؤية الملائمة وأخيرا إقرارها.

وسنأخذ مثالا عن ذلك، وضع رؤية استراتيجية للمكتبات الجامعية:

- 1- ضرورة التغيير في المكتبات الجامعية:
- وذلك بدراسة بيئة المعلومات بصفة عامة من خلال الأرقام والدراسات الميدانية. مع إبراز ظاهرة عدم الاستقرار التي تميز عصرنا، وأن التجديد والتغيير متلازمان.
- أيضا، بتحليل أداء المكتبات بعد أن عرفت فترة استقرار طويلة خمسين سنة باستخدامها أدوات عمل ومعايير ثابتة، برزت الحاجة الى مواكبة التحولات العميقة في قطاع المعلومات إذ أن تكنولوجيا الرقمنة قلبت الأوضاع، حيث يسعى التكنولوجيون الى التخلص من وساطة المكتبيين وبرزت ظاهرة عزوف القراء عن المكتبات، وغيرها من الضغوطات على مرافق المعلومات.
- 2- تحديد رهانات التغيير:
- يمكن التركيز على إعادة الاعتبار لمرافق المعلومات، لتقوم بدورها في بناء مجتمع المعرفة، بما ينعكس إيجابا على المستفيدين والموظفين بالمكتبات والقياديين بها. وهنا من الضروري التعرف على انتظارات كل من هؤلاء.

4- تقديم الرؤى البديلة

هذه البدائل تتعلق بالأهداف وما يرافقها من نشاطات. يمكن اختيار ثلاثة أو أربعة بدائل يقترحها القادة والموظفون بالمكتبة الجامعية.

مثال لرؤية بديلة اولى: إعادة اندماج المكتبة الجامعية في فضاء التعليم العالي والبحث العلمي لتكون شريكا فاعلا في توفير المعلومات العلمية وبناء المعرفة.

مثال لرؤية بديلة ثانية: تحويل المكتبات الجامعية إلى قطب متميز وذلك ببناء مجموعات الكترونية وورقية متميزة وتقديم خدمات متميزة.

مثال لرؤية بديلة ثالثة: تحويل المكتبات الجامعية الى فضاء معرفي مفتوح للتواصل والحوار بين الجامعيين وللتفاعل مع الفضاءات المعرفية الأخرى.

مثال لرؤية بديلة رابعة: تغيير المكتبات الجامعية لتكون مراكز للتعليم وللنفاذ المفتوح وتأمين دورها الاجتماعي وفق برنامج التنمية المستدامة للعام 2030.

ويمكن الاستئناس لهذا الغرض بنماذج لرؤى مكتبات جامعية في العالم (مثل كندا والولايات المتحدة).

الخاتمة: إعادة بناء المكتبات لأجل المستقبل

Reinventing the Library for the Future

إن مستقبل المكتبات في عالم متغير يكون بتجديد الخطاب المكتبي، وإعادة بناء المكتبات وفق رؤية جديدة. كما أن مستقبل المكتبات العربية ومنها الجامعية، رهين تجديد خطاب المكتبيين بها، هذا الخطاب يقوم على أربعة أمور:

- إعادة استنطاق المفاهيم ومن بينها مفهومي المكان والزمان.
- إعادة وضع رؤية بديلة للمكتبات بما يتماشى وبيئة المعلومات وهو أن الوظيفة الطبيعية للمكتبة كانت ولا تزال منذ القديم وظيفة اتصالية واجتماعية في الان نفسه وليست توثيقية فحسب .
- إعادة الوساطة المكتبية : اخصائيي المعلومات هو في الآن نفسه خبير معلومات و قيادي ومدرس وناشر رقمي، الخ.
- إعادة بناء الكفاءات والقدرات المكتبية: متحفزة للتغيير ولمواكبة التحولات المستمرة. وضع مدونة مهن المعلومات الجديدة والكفاءات، ومراجعة مناهج التعليم في علوم المعلومات والمكتبات وحلقات التدريب.
- ومن خلال مساءلة بعض المفاهيم نخلص الى أن المكتبة الجامعية العربية مدعوة الى مراجعة دورها ووظائفها وذلك ب:
- التحول من مفهوم دار الكتب الى دار المعرفة، ذلك ان دار الكتب هي مكان يوحى بالخرن وحفظ المجموعات المكتبية، في حين مفهوم دار المعرفة يجمع الى جانب وظيفة الخزن والتوثيق الوظيفة الاجتماعية الاتصالية ويلتقي بفضاءات معرفية أخرى كما أشرنا الى ذلك.

- الانتقال من التركيز على المصادر الى التركيز على الخدمات: بما أن هناك جزء كبير من المصادر أصبح متاحا على الانترنت، فإن جهد المكتبيين سينصبّ على خدمات المعلومات والعلاقات مع الجمهور: مرافقة المستفيدين وتدريبهم (ثقافة المعلومات، التحكم في المعلومات) الاتصال والتفاعل مع طلباتهم.
- التحول من فضاء مغلق الى فضاء مفتوح: أي تجاوز نموذج المكتبات المنعزل المخصص للتأمل الى نموذج للمكتبات الرحب المتحرر من القيود، يكون مخصصا للتلاقي ولخلق أجواء ودّية ومريحة لنقل المعرفة وللتقاش وبناء المعرفة. إنه فضاء للإنسان حيث حرية تداول المعرفة.
- وتتوفر للمكتبات الجامعية فرصة ثمينة لتقوم بدور رئيس في المشهد المعرفي الحالي المبني على أساس أن النفاذ المفتوح هو طريق الى العلم المفتوح والى المعرفة المفتوحة والى المجتمع المفتوح. open access/ Open Science/ Open Knowledge/ Open Society.

د. وحيد قدورة

المراجع

- بوك، ديريك (2009).- جامعات في السوق: إضفاء الصفة التجارية على التعليم العالي، تعريب سوسن مستو.- الرياض: العبيكان، 244 ص
- سعد الزهري(2015).- المكتبات الإلكترونية: دراسة تحليلية لنظرة الستينيات الاستشرافية. في مجلة المكتبات والمعلومات العربية، مج 35.
- عمر أوكان (1991).- النص والسلطة.- الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، .ص 78.
- محمد يوسف مراد(2016).- الفرص الوظيفية المتاحة لاختصاصيي المكتبات والمعلومات من قبل الجمعيات المهنية الأمريكية والكندية والبريطانية : دراسة تحليلية مقارنة لمسمياتها وتوصيفاتها.- في مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية.

- Boraud, Anna(2017).- Quelles compétences pour les professionnels au Learning Center ? De l'Opinion à l'Utopie.-
- in : Bulletin des bibliothèques de France, décembre, 2017.- pp.23-35.
- Belisle, Claire (dir)(2011)- Lire dans un monde numérique.- – Villeurbanne : Presses de l'ENSSIB.
- Bertrand, Anne Marie(2013).- Médiation, numérique, désintermédiation : une nouvelle astronomie.-in : Bulletin des bibliothèques de France, n°3 , 2013.- pp.23-29
- Bibliothèque d'aujourd'hui : à la conquête de nouveaux espaces./ sous dir. Marie Françoise Bisbrouck- Paris : Cercle de la librairie, 2014
- Bruxvoort, Diane.- Library as Third Place
https://www.sconul.ac.uk/sites/default/files/documents/3_18.pdf (visited 28/4/2018)

- Concevoir et construire une bibliothèque : du projet à la réalisation/ sous dir. Laure Collignon et Colette Gravier.- Paris : Editions Le moniteur, 2011
- Devauchelle, Bruno(2012).- Comment le numérique transforme les lieux de savoirs : le numérique au service du bien public et de l'accès au savoir pour tous.- Fyp éditions, 2012
- Fenniche, Raja (dir)(2009).-Lecture numérique et usages du web : actes des journées d'études 14-15 avril 2009. - Tunis : ISD, 2010.
- Fernex, Alain(2013).- Temps académique, temps de l'apprentissage : l'évolution de la relation des étudiants à l'étude.- in : L'avenir des bibliothèques : l'exemple des bibliothèques universitaires/ sous dir. Florence Roche et Frédéric Saby. – Villeurbanne : Presses de l'ENSSIB, 2013.-pp.12-20
- Grouard, B., Meston, F(1998).- L'entreprise en mouvement : conduire et réussir le changement.- Paris : Dunod, 1998.-p.61
- L'avenir des bibliothèques : l'exemple des bibliothèques universitaires/ sous dir. Florence Roche et Frédéric Saby. – Villeurbanne : Presses de l'ENSSIB, 2013
- Lauridsen, J., Niegaard, H.- Les développements actuels des bibliothèques danoises.- in : Bibliothèque d'aujourd'hui : à la conquête de nouveaux espaces./ sous dir. Marie Françoise Bisbrouck- Paris : Cercle de la librairie, 2014.-pp.113-118
- Line, Maurice(2004).- Les bibliothécaires et la connaissance : gardiens, fournisseurs, intermédiaires, guides, ressources ?in : Bibliothécaire, quel métier ?/sous dir. Bertrand Calenge.- Paris : Cercle de la librairie, 2004.-p.43

- OCDE (2007) .- Renforcer les capacités nationales grâce à l'enseignement supérieur transnational. In :www.ocde.org/fr/educeri.pdf
- OCDE (2008).-L'enseignement supérieur à l'horizon 2030 : accès, qualité et mondialisation

- www.oecd.org/fr/sites/eduhe3/lenseignementsuperieuralhorizon2030accesqualiteetmondialisation.htm (date de visite 10/10/2017)
- Poissenot, Claude.- La nouvelle bibliothèque : contribution pour la bibliothèque de demain.- Paris : Territorial éditions, 2009
- Quel modèle de bibliothèque? (2008)/ Anne Marie Bertrand (et al.).- Villeurbanne : Presses de l'ENSSIB, 2008
- Roche, Florence(2013).- Définir et mettre en place une politique de service au public.- in : L'avenir des bibliothèques : l'exemple des bibliothèques universitaires/ sous dir. Florence Roche et Frédéric Saby. – Villeurbanne : Presses de l'ENSSIB, 2013.-pp.65-82
- Roche, Florence(2013).-Le bâtiment et sa place dans la politique de services au public.- in : L'avenir des bibliothèques : l'exemple des bibliothèques universitaires/ sous dir. Florence Roche et Frédéric Saby. – Villeurbanne : Presses de l'ENSSIB, 2013.-pp.83-96.
- Servet, Mathilde(2010).- Les bibliothèques troisième lieu : une nouvelle génération d'établissements culturels.- in Bulletin des bibliothèques de France BBF, n°4, 2010.
- Stephan Hachem, Maud(2013).- De la lecture à l'usage de l'Internet arabe : enquête auprès de jeunes étudiants libanais.- Documentaliste Science de l'information (ADBS) vol.50, n°2, 2013, pp.62-69.
- Swiatek, Cécile(2017).- Les orientations Skills and Competences au sein de LIBER.- in : Bulletin des bibliothèques de France, décembre, 2017.- pp.23-35.